المحارة الاخيرة الملعونة فمات فرحـا ، ام كانت فارغـة كأخواتها العاقـرات فمات غمـا ؟ »(٥١) .

تعبر صورة اللآلىء في المحار عن وهم الثروة الساقطة من السماء ، فالموت هنـا صورة شعرية تعبر عن دمار كل من سار في هذا الطريق . وقد وضح غسان كنفاني في اعماله اللاحقة موضوعة الحـل الوهمي هذا الـذي يستبدل به الانسان بؤس الحاضر . وتكمن العلاقة بين صورة اللؤلؤة في المحارة الاخيرة ، والموضوعة الرئيسية **لشعور المنفي المعذب** في السؤال الذي يطرحه غسان كنفاني : كيف يمكن التحرر من هذا الشعور ؟

أ ٢) أرض البرتقال الحزين

تدور المجموعة القصصية الثانية لسنـوات الخمسين حـول نفس الموضوعـة الاساسية : شعور المنفي المعذب الذي ينعطف الى الوراء ، وقد اتسعت وتعمقت ، بعد ان بدأ المنفي برصد الماضي ، واثارة الاسئلة حول اوهامه . وتميزت القصـص بميلها نحو **تحول باتجاه الحاضر** ، واصبح الانسان المنفي متسائلا بشكل جذري .

ويعود من جديد دافع الكشف عن الاكاذيب في قصة « الافق وراء البوابة » ، وتبدو في العنوان صورة : **البوابة التي تفصل بين الكذب والحقيقة** . انها حكاية شاب يجتاح بوابة مندلبوم ، آتيا من الارض المحتلة (حيث عاش مع الكذب) الى الجانب الاخر من مدينة القدس ليواجه الحقيقة . القصة في ذاتها بسيطة جدا ، اذ يحاول الشاب اخفاء موت اخته التي قتلها الصهاينة عن امه ، بينما تحـاول عمته بدورها اخفاء موت الام عنه . وعندما يلتقيان ، وكل منهما يحمل هدية للاخت ولـلام ، يفهمـان اكـاذيبهما المتبادلة .

وهناك ثلاث قصص اخرى تحمل عنوان « ثلاث اوراق من فلسطين » ، نقع فيهـا لاول مرة على دافع **الماضي الايجابي** . في قصة « ورقة من الرملة » يفقد رجل امراته وابنته بعد ان قتلهما الصهاينة ، وكان قد باع املاكه ليشتري اسلحة ومتفجـرات ، نسف بها نفسه ومن معه من الصهاينة في الوقت الذي كانوا يستجوبونه .

أما القصة الثانية « ورقة من الطـيرة » فهي تحكي عن المقاتـل القديم المنفي في دمشق ، يبيع الكعك ، ويسأل الماضي مبديا الجوانب الايجابية للنضال ، وفي نفـس الوقت استياءه من رؤساء الدول العربية الرجعية التي كانت في يدها القيادة ، فيقول : « الخطأ لم يكن مني انا ، كان من فوق »(٥٢) .

اخيرا القصة الثالثة « ورقة من غزة » تعيد من جديد وبشكل مباشر ، موضوعـة المنفي الذي يبحث عن « السعادة » في امريكا ، وقد دعاه صديقه للعودة الى الوطن ليقوم بواجبه في المعركة بعد ان قص عليه حالة ابنة اخته الصغيرة التي فقدت ساقها ايام حرب ١٩٥٦ ضد الصهاينة : « عد لتتعلم من ساق ناديا المبتورة من اعلى الفخذ ما هي الحياة وما قيمة الوجود . عد يا صديقي ، فكلنا ننتظرك »(٥٣) .

هكذا ، تظهر الثلاث اوراق هذه من فلسطين ثلاثة جوانب للماضي : **الشهيـد ذو المشاعر الوطنية ، المقاتل الذي خاب امله ، والهارب امام الحقيقة .**

أما قصة « أرض البرتقال الحزين » التي تحمل اسم المجموعـة ، فهي من التعقيد بقدر ما كانت عليه « موت سرير رقم ١٢ » ، وذلك لسبب تعدد الدوافع التي تشمـل موضوعة المنفي . وللمرة الاولى لدينا نفس يكـاد أن يكون ملحميا ، ويمكن اعتباره رواية صغيرة ، نجد فيه ممزا نوعيا ادبيا من القصة الى الرواية .